

معايير النصية في لامية العرب للشنفرى Textual standards in the arab illiteracy of Al-Shanfara

موسى ناصر جامعة الشاذلي بن جديد. الطارف (الجزائر). moussanacer87@gmail.com	منى بوشموخة* جامعة محمد الصديق بن يحيى. جيجل (الجزائر). mouna8bouch@gmail.com
--	---

تاريخ القبول: 2020/11/21

تاريخ الإرسال: 2020/11/16

الملخص:

ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين علم حديث يهتم بتحليل النصوص ودراسة مكوناتها والبحث عن العلاقات التي تربط بين أجزائها؛ وقد عرف هذا العلم بلسانيات النص أو علم لغة النص، ثم انتقل هذا العلم إلى العالم العربي وبدأ الباحثون يدرسون معاييرها ويطبّقونها على النصوص العربية المختلفة. ولأن لامية العرب للشنفرى من أبرز النصوص الشعرية العربية في العصر الجاهلي، سنحاول تطبيق ما جاء به علم لغة النص الحديث من معايير؛ وذلك للكشف عن مدى تماسكها وانسجامها، وسنكشف عن الإشكالات والعوائق التي تعترض هذا التطبيق.

الكلمات المفتاحية: النص، علم لغة النص، المعايير النصية، الشنفرى، لامية العرب.

Abstract:

In the second half of the twentieth century, a modern science concerned with analyzing texts, studying their components, and searching for the relations between their parts was known as the linguistics or the language of the text, and then moved to the Arab world, and researchers began studying its standards and applying them to different Arabic texts. As the Arab illiteracy of Al-Shanfari is one of the most prominent Arabic poetic texts in the ignorant age, we will try to apply the criteria mentioned in the modern text language to reveal its consistency and harmony, and we will reveal the problems and obstacles that hinder this application.

Keywords: Text, text language science, text standards, illiteracy of Arabs.

* المؤلف المرسل: منى بوشموخة.

مقدمة:

يسعى علم النص أو لسانيات النص "Text Linguistics" إلى دراسة النصوص -باعتبارها وحدات قابلة للتحليل- والكشف عن طريقة تماسكها وترابط أجزائها؛ حيث يعرف (صبيحي إبراهيم الفقي) هذا المصطلح (علم النص) بقوله: «هو فرع من فروع علم اللغة، يدرس النصوص المنطوقة أو المكتوبة، هذه الدراسة تؤكد الطريقة التي تنتظم بها أجزاء النص، وترتبط فيما بينها لتخبر عن الكل المفيد⁽¹⁾؛ فعلم النص أو علم لغة النص أو لسانيات النص هو العلم الذي اتخذ من النصوص موضوعاً له، وتناولها بالدراسة والتحليل للكشف عن أسرار تماسك أجزائها وانتظامها. تختلف النصوص عن غيرها من الملفوظات بسمة تسمى "النصية" تميزها عما ليس نصاً؛ وفي هذا يقول (محمد الأخضر الصبيحي): إن النص وحدة لغوية مهيكلية "structuré" بحيث تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معينة، وهذا ما يجعل النص كلا مترابطاً منسجماً (...). تمثل هذه العوامل مجتمعة ما يسميه علماء النص بـ "النصية" وهي أيضاً من المقومات التي يتميز من خلالها النص عن اللانص⁽²⁾؛ فالنصية هي السمة التي يمكن من خلالها تمييز النصوص عن غيرها من الملفوظات، وبها يمكن الحكم على ملفوظ ما بأنه نص. وفيما يلي سنبحث عن مظاهر النصية في نص من النصوص العربية التي بلغت شهرة واسعة وهي: لامية العرب لـ (الشنفرى).

- الشنفرى:

من الشعراء الصعاليك وقد <<اختلف العلماء في اسم الشنفرى ولقبه ونسبه، فقال بعضهم (الشنفرى) لقب له، واسمه عمرو بن براق، أو ثابت بن أوس، أو ثابت بن جابر، وقال بعضهم أن الشنفرى هو اسمه الحقيقي لا لقبه>>، يقول (الزركشي): <<الشنفرى هو العظيم الشفتين وقبيلته الأزدي>> والقول الغالب أنه ثابت بن أوس الأزدي، نشأ في قومه الأزدي ثم غاضوه فهجرهم، وقال آخرون أنه ولد في بني سلامان وعاش رهينة عندهم مع أمه وأخيه، وقال يوماً لابنة مولاه "إغسلي رأسي يا أختي" فغاضها أن يدعوها بأختها فلطمته، وعرف الشفر حقيقة حياته بينهم فهجرهم وتوعد أن يقتل منهم مئة. و(الشنفرى) من الشعراء الصعاليك الذين يمثلون الجانب الإنساني والشيطاني معاً، توفي على قول بعض المؤرخين سنة (510م) على أيدي بني سلامان.

- لامية العرب:

تعددت البحوث والشروح التي كانت اللامية موضوعها وركيزتها، ولكن هذا لا ينفي أن هناك اختلافاً كبيراً في نسبة اللامية إلى الشنفرى؛ حيث يقول (ابن دريد) إن لامية العرب التي نسيها (خلف الأحمر) إلى (الشنفرى) هي من شعره -خلف الأحمر- كما يؤيد هذا الرأي (يوسف خليف) صاحب كتاب "الشعراء الصعاليك"؛ لهذا لم تجد اللامية مكاناً لها في كتابه، ولكن معظم الرواة نسبوها إلى (الشنفرى).

يقول (إيميل بديع يعقوب) عن لامية العرب: «هي أشهر ما نسب إلى (الشنفرى) ومطلعها من الطويل:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فأني إلى قوم سواكم لأميل

ولا نعرف من أطلق عليها هذه التسمية، ومتى أطلقها، ولعل اختصاصها بهذا الاسم دون غيرها من القصائد اللامية التي نظمها الشعراء الجاهليون والإسلاميون، لكزهير بن أبي سلمى وعنتر بن شداد وامرؤ القيس وكعب بن زهير وغيرهم يعود إلى ما بلغته من شهرة أدبية ولغوية لم تصل إليها سائر اللاميات».

عرفت اللامية اهتماما كبيرا من طرف علماء اللغة؛ فقد تعددت فيها الشروح والدراسات، ومن بين الذين حاولوا دراستها وشرح مفرداتها (الزمخشري) في كتاب سماه "أعجب العجب في شرح لامية العرب" و(المبرد) ، و(ابن دريد) ، وغيرهم، كما حاول المستشرقون الإفادة منها؛ فقام الفرنسي (سلفستردى ساسي) بترجمتها، ثم ترجمها الألماني (روس) والإنجليزي (ردهوس) وغيرهم. معايير النصية في لامية العرب:

يعتمد علماء النص أثناء تحليلهم ودراساتهم لمختلف النصوص على المعايير السبعة التي حددها (روبارت دي بوغراندي) (Robert de beaugrende) ؛ التي قسمها إلى معايير متعلقة بالنص (سبك والتحام) ، وأخرى متعلقة بالمواقف المصاحبة للنص (رعية الموقف والتناسق) الاتساق:

الاتساق أو الربط اللفظي أول المعايير النصية التي حددها (دي بوغراندي) (de beaugrende) وهو «ترتيب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق»⁽³⁾ ؛ وللاتساق وسائل وأدوات تساهم في إقامة النص والحفاظ على تتابع أفكاره وهي: الربط المعجمي والربط النحوي والربط الصوتي.

1-1 الربط المعجمي:

أول الوسائل التي حددتها (عزة شبل محمد) للاتساق "الربط المعجمي"، ويقصد «الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر؛ أي هو ذلك الربط الإحالي الذي يقوم على مستوى المعجم فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى كما يعطي النص صفة نصية»⁽⁴⁾ ؛ فالربط المعجمي مظهر من مظاهر الاتساق يحدث من خلال تناسق الألفاظ وورودها في موضوع واحد، ويتحقق الربط المعجمي داخل الن من خلال وسيلتين هما "التكرار" و"التضام".

- التكرار:

من العناصر التي يتحقق بها الترابط المعجمي "التكرار" ، تعرفه (عزة شبل محمد) بقولها: «ويقصد به إعادة المباشرة للكلمات... والتعبير المتكرر يبقى نفس المرجع يعني أنه يستمر بالإشارة إلى الكيان ذاته في عالم النص وعندئذ يدعم ثبات النص بواسطة هذا الاستمرار الواضح فيخلق تعدد التكرار أساسا مشتركا بين الجمل مما يساهم في وحدة النص وتماسكه»⁽⁵⁾ ، والتكرار أيضا

ورود مرادف للكلمة أو شبيه لها أو عنصر في نفس سياقها، وفي لامية العرب لم يرد تكرار مباشر لمفردات أو لكلمات بعينها ولكن ورد في بعض الأبيات تكرار؛ ففي قول (الشنفرى):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإن إلى قوم سواكم لأميل

لقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

والمطية هي الراحلة أو ما يركبه المسافر، وتكرار لفظ "مطية" في البيتين الأول والثاني إنما هو دلالة على تواصل الكلام في الموضوع وهذا ما قصده (عبد الحلیم حنفي) في شرحه البيتين حيث يقول: <<والبيت مبني على سابقه>>⁽⁶⁾؛ وهذا دلالة على تماسك النص وترابط البيت بالثاني، كما ورد في

البيت الثاني والثلاثين وما بعده تكرار لألفاظ وأفعال؛ حيث يقول (الشنفرى):

<< فَضَجَّ وَضَجَّتْ بِالْبَرَّاحِ كَأَنَّهَا وَإِيَّاهُ نُوْحٌ فَوْقَ عَلِيَاءِ تُكَلُّ

وَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَأَتَسَوَّاتَسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَّاهَا وَعَزَّتَهُ مُرْمِلٌ >>⁽⁷⁾

وهذه الأبيات يصف فيها الأزل (الذئب الجائع) حين رؤيته نظائره من ذئب الصحراء وقوله ضج؛ أي ضجر وضجت (الذئب) وأغضى (الذئب)؛ أي صبر، وكذلك الذئب، وشكى وشكت أي ضجرا وانقطع الصبر، وفاء وفاءت؛ أي عاد كل منها إلى مأواه⁽⁸⁾.

وتكرار الفعل دلالة على استمرار المعنى واتصال كل بيت من الأبيات بالذي سبقه لأن الفاعل في كل الأبيات واحد (الذئب)؛ وهذا التكرار يزيد تماسك النص وترابطه، كما أن الذكر المتكرر لأسماء الحيوانات في القصيدة يجعلها لا تخرج عن نفس الموضوع وهذا ما يحفظ ترابطها.

- التضام:

تقول عنه (عزة شبل محمد): <<هو نوع من أنواع الربط المعجمي؛ حيث يرتبط عنصر بعنصر من خلال الظهور المشترك المتكرر في سياقات متشابهة>>⁽⁹⁾؛ أي أن ظهور اللفظة الواحدة في المواقع المختلفة من النص دلالة على سيره في الموضوع نفسه، وفي لامية العرب ورد التضام واضحا جليا؛ ففي قوله:

وَفِي الْأَرْضِ مَنَأَى لِلْكَرِيمِ عَنِ الْأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ الْقَلِيَّ مُتَعَزِّلٌ

تضام بين لفظي "منأى" و"متعزل" فكلهما يحمل الدلالة نفسها، يقول (عبد الحلیم حنفي) <<المنأى: المكان البعيد (... المتعزل: مكان العزلة عن الناس>>، ويمكن للقارئ أن يعرف اللفظ الثاني (متعزل) من خلال رود اللفظ الأول (منأى)، وهذا ما يجعل البيت متمسقا متماسكا، ثم يقول (الشنفرى):

وَكُلُّ أَبِيِّ بَاسِلٌ غَيْرَ أَنِّي إِذَا عَرَضَتْ أُولَى الطَّرَائِدِ أَبْسَلُ

في هذا البيت يصف (الشنفرى) أهله الجدد (الوحوش) بالبطولة والبسالة، إلا أنه يخبر بأنه أكثر منهم شجاعة وبسالة في مطاردة الفرائس⁽¹⁰⁾؛ فاللفظة "أبسَل" يمكن معرفتها مسبقا من خلال قراءة اللفظة "باسل" وهذا لوجود ترابط بينهما.

مما سبق ومن خلال دراسة التكرار والتضام يظهر أن الربط المعجمي تماسك وترابط وقوة للنص، وهو من بين العناصر التي تعمل على بقاء نص اللامية متماسكا متمسقا.

2-1 الربط النحوي:

من أدوات اتساق النص "الربط النحوي" الذي يعتبر عنصرا هاما وفعالاً في الاتساق ووسائله - الربط النحوي : أدوات الربط والاستبدال والحذف والإحالة، وتعمل هذه العناصر أو الوسائل لإقامة الربط النحوي للنص وجعله كلا متكاملًا.

- أدوات الربط في لامية العرب: تعرف أدوات الربط بأنها: «وسيلة بناء لتفسير ما سيقدم في علاقته بما سبقه؛ حيث تفسر كيف أننا نتعرف مسبقاً على وجود العلاقة الدلالية في سطح النص (...) وتعبّر عن معانٍ معينة تفترض وجود مكونات أخرى في الخطاب؛ فتستخدم بعض الكلمات والعبارات لتحديد ربطاً خاصاً بين الأجزاء المختلفة للنص يطلق على هذه الكلمات والعبارات "روابط" مثل (لكن، بالرغم من، على الرغم من)»⁽¹¹⁾ ، وتعرف أدوات الربط أيضاً بالوصل الذي يعني «تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم»⁽¹²⁾.

في لامية العرب حضور معتبر لأدوات الربط؛ حيث استعملت "الواو" أربعة وثمانين مرة (84) واستعملت "أو" مرتين فقط، كما توجد الأداة "لكن" مرة واحدة في اللامية؛ حيث يقول (الشنفرى):

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

والواو هنا استعملت لتعطف الكلام بعضه على بعض، والواو بين "مطايا وأرحل" مفادها أنه يمكن لقارئ أن يفهم مباشرة أن ما بعد الواو (أرحل) سيكون مرادفاً لما قبلها (مطايا)، وفي قوله:

فقالوا لقد هرت بليل كلابنا فقلت أ ذئب عسّ أم عسّ فرعل

واللفظة "أم" أداة ربط لقول (العكبري) «وأم هنا هي المنقطعة لأن كل واحد من الاسمين (ذئب وفرعل) قد اختص بخبر أسند إليه»⁽¹³⁾

ومنه فإن أدوات الربط أو كما تعرف بالوصل، عنصر هام في عملية الربط النحوي الذي يعتبر من أهم عناصر اتساق النصوص.

- الاستبدال:

يعرف الاستبدال على أنه: «إحلال كلمة محل كلمة أخرى، وهذه الكلمة لا تكون ضميراً شخصياً»⁽¹⁴⁾؛ أي أن صاحب النص يضع كلمة جديدة محل كلمة استعملها مسبقاً تجنباً للتكرار الذي من شأنه الإخلال بترابط النص واتساقه، وفي لامية العرب استبدال (الشنفرى) بعض الكلمات بغيرها؛ حيث يقول:

وإن مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن ... بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل ... عليهم وما كان الأفضل المتفضل

وفي البيتين يذكر (الشنفرى) فضائله من قناعة وعدم جشع؛ فقولته: "وما ذاك" جاء بديلا عن البيت الذي سبقه، وهو لفظ حل محل البيت كله وأظهر المعنى المراد، كما أن استعمال اللفظ يغني عن تكرار البيت ويحافظ على تواصل المعنى.

والاستبدال كما قسمه كل من (رقية حسن) و(هاليداي) ثلاثة أنواع: استبدال قوليو واستبدال فعلي واستبدال اسمي. وفي كل منها يقوم منتج النص بتغيير الألفاظ للمحافظة على نصه من التكرار وإبقاء النص كلا متكاملًا لا تتقطع الأفكار فيه.

– الحذف:

من عناصر الربط النحوي "الحذف" وهو >> إن اللغة العربية لا تعمل منعزلة بل باعتبارها نصا في سياقات فعلية الاستخدام، دائما ما يرشد السامع في تفسير الجملة، ما تقدمه الجملة نفسها؛ ففي بعض السياقات يمكن حذف كلمة أو عبارة بدلا من تكرارها<<⁽¹⁵⁾؛ يعني أن الحذف هو عملية يقوم بها صاحب النص من أجل الحفاظ على نصه من الإطناب والتكرار الممل؛ وذلك بحذف عبارات يمكن للمتلقى أن يستنتجها دون حضورها، وفي لامية العرب استعمل الشنفرى الحذف في مواضع مختلفة؛ فقولته:

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

وفي إعراب هذا البيت قال (العكبري) >> ويجوز أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره "أنا أديم" <<⁽¹⁶⁾؛ ومنه فالحذف يعمل على إبقاء النص متمسقا وذلك من خلال إبعاد الكلمات التي من شأنها خلق التكرار وإصابة المعنى بالثقل أو غيره.

– الإحالة:

يعرف (دي بوغراندي) (de beaugrende) الإحالة بقوله: >>العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث ومواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما<<⁽¹⁷⁾. ولم يخرج التعريف الذي جاء به العالمان (هاليداي) و(رقية حسن) عن هذا معنى؛ حيث قالوا: >>الأدوات التي تحيل داخل النص هي الأدوات التي يعتمد في فهمنا لها، لا على معناها الخاص بل على إسنادها إلى شيء آخر، فهي تجبر القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها<<⁽¹⁸⁾؛ أي أنها - الإحالة- خروج المتلقي في فهمه للنص إلى المواقف المصاحبة؛ وقد قسمتها (عزة شبل محمد) إلى نوعين: إحالة نصية وإحالة سياقية.

أ/ الإحالة النصية: وتشير إلى أن العنصر المشار إليه موجود في محيط النص أو هي الإحالة على العناصر الواردة في الملفوظ، وتنقسم بدورها إلى قسمين:

* الإحالة اللاحقة (القبلية) في لامية العرب:

يقصد بالإحالة القبلية >>استخدام الضمير قبل التعبير المشار إليه، أو أنها تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها<<⁽¹⁹⁾؛ أي أن العنصر الذي سيزيل غموض الضمير يظهر بعده، وفي لامية العرب قال (الشنفرى):

فقد حمت الحاجات والليل مقمر.... وشدت لطيات مطايا وأرحل

فالتاء هنا ضمير يشرح بما يأتي بعده "الحاجات" وهي إحالة بعدية وكذلك قوله:
وأعدو على القوت الزهير كما عدا أزل تهاداه التنايف أطل
فقوله "كما عدا" يحتاج إيضاحاً وضمير الغائب "هو" يحيل إلى ما بعده "أزل" وهو الذئب؛ ومنه
فالإحالة البعدية هي ربط أول الكلام بما بعده داخل النص.

* الإحالة السابقة (البعدية) في لامية العرب:

وهي كما تعرفها (عزة شبل محمد) >>استخدام الضمير بعد التعبير المشار إليه ، أي أنها تعود على
مفسر سبق التلفظ به<<⁽²⁰⁾؛ أي أن الضمير المهم يعتمد في تفسيره على ما سبقه في النص، وفي
لامية العرب استعملت الإحالة البعدية في مواضع عديدة؛ ففي قوله:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فالضمير "أنتم" في كلمة "سواكم" يعود على اللفظ السابق "بني أمي" كما قال:

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيظت إليها ومحمل

فالضمير "ها" في الفعل "يزينها" يعود على القوس "صفراء عيطل" ، وفي هذا البيت قال (عبد الحلیم
حنفي) : >>فقد وصف قوسه بعدة أوصاف منها أن لها صوتاً شديداً عن إطلاق السهم<< ؛ ومنه
فالإحالة النصية أو الداخلية (قبلية وبعديّة) تعمل على ربط أجزاء النص؛ ذلك بإحالة بعضها إلى
بعض.

ب/ الإحالة الخارجية أو السياقية:

تعرف الإحالة الخارجية كمايلي: >>وتشير إلى أن العنصر المشار إليه محدد في سياق الموقف، فهي
تشير إلى العالم الفعلي (...) وهذا النوع من الإحالة يتوقف على معرفة سياق الحال أو الأحداث التي
تحيط بالنص<<⁽²¹⁾ ؛ أي أنها الخروج من النص إلى المحيط الخارجي كالكاتب والمواقف المصاحبة،
وفي لامية العرب يقول (الشنفرى):

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فضمير المتكلم في "فإني" يخرج المتلقي من النص إلى المنتج أو الشاعر، كما يقول:

ترود الأراوي الصحم حولي كأنها.... عذارى علمين الملاء المنديل

في البيت يصف الشنفرى الطبيعة التي يعيش بها والوعول التي تجول حوله، وكلمة "حولي" تخرجنا
من النص للبحث عن المكان الذي يريده الشاعر؛ ومنه فإحالة بنوعها (داخلية و خارجية) تعمل
على ربط النص داخليا ومع الواقع الخارجي وهذا ما يزيد النص اتساقا وتماسكا.

3-1 الربط الصوتي:

عرف علماء اللغة الربط الصوتي بأنه >>مجموعة الوسائل الشكلية التي تؤدي لى ترابط النص مثل
الوزن والتنغيم والقافية<<⁽²²⁾ ، وقد ذكرت (عزة شبل محمد) ثلاثة عناصر للربط الصوتي هي:
السجع والجناس والأوزان والقوافي.

- السجع:

من مصطلحات علم البلاغة، ويعني «في اللغة الكلام المقفى، أو موالاة الكلام على روي واحد، وجمعه أسجاع وأساجيع، وهو مأخوذ من سجع الحمام، وسجع الحمام هو هديله وترجيعة لصوته. وفي اصطلاح البلاغة: تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على روي واحد أو على حرفين متقاربين أو أحرف متقاربة. ويقع في الشعر كما يقع في النثر»⁽²³⁾؛ فالسجع يعني اتفاق المقاطع في الحرف الأخير، ما يجعلها تكتسب نغمة موحدة، وفي لامية العرب ل(الشنفري) لا يوجد استعمال للسجع، مع العلم أن من اللغويين من جعل السجع مرتبطا بالنثر فقط، وهو يعمل على خلق نغمة تجعل النص مترابطا ترابطا صوتيا يجعله كلا متكاملًا.

- الجناس:

من عناصر الربط الصوتي الجناس والذي يعرفه (الخليل) بقوله: «الجناس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها وما يشتق منها مثل قول الشاعر: يوم خلجت على الخليج نفوسهم»⁽²⁴⁾؛ فالجناس هو تشابه الكلمات في المعنى أو الشكل، وهو نوعين تام وناقص، وفي لامية العرب قول (الشنفري):

وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم وكان الأفضل المتفضل

فكلمة (الأفضل) تجانس (المتفضل) في شكل الحروف، وهو ما يعرف بالجناس الناقص؛ ومنه فالجناس من شأنه الحفاظ على تماسك النص؛ وذلك من خلال إظهار التقارب بين الألفاظ في الصوت وطريقة النطق .

-الأوزان و القوافي :

تقول (عزة شبل محمد) في الأوزان و القوافي «إن موسيقى الشعر العربي عنصر بنائي فعال في تشكيل النصوص الشعرية، كما تقوم بوظيفة جمالية في تشكيل النص»⁽²⁵⁾؛ وهذا بيان لمدى أهمية موسيقى الشعر في بناء القصيدة.

الوزن أو البحر الذي تقوم عليه لامية العرب: «البحر هو الوزن خاص الذي على مثاله يجري الشاعر»⁽²⁶⁾، وفي لامية العرب البحر الذي اختاره الشنفري لتجري عليه أبيات لاميته هو بحر "الطويل" وزنه:

فعولن / مفاعيلن / فعولن / مفاعيلن فعولن / فعولن / مفاعيلن / فعولن مفاعيلن

وإذا قطعت ابيات اللامية عروضيا سنجدتها تسير وفق وزن واحد:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني قوم سواكم لأميل

0//0//0/0//0/0/0//0/0//.....0//0///0//0/0//0/0//

فعولن مفاعيلن فعولن متفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

وهو البحر الذي سارت عليه القصيدة والذي حفظ لها تناسقا صوتيا موحدا.

القافية: إضافة إلى الوزن، تعتبر القافية من موسيقى الشعر، وهي كما يعرفها الخليل <<من آخر حرف في البيت إلى أول سامن يليه مع المتحرك الي قبل الساكن>>⁽²⁷⁾ وهي في لامية العرب "أميل"، على وزن أفعل وهي نفسها في كل أبيات القصيدة.

ومنه فالربط الصوتي يعمل على إبقاء النص كلا متكاملًا من الجنب الشكلي، فلا يخرج بيت من أبيات القصيدة عن غيره في الوزن ولا القافية وهذا ما يضمن للنص اتساقه وترابطه.

2- الانسجام:

يعرف (دي بوغراند) بقوله: <<تعود إفادة النص معنى ما إلى استمرارية المعاني المقالية في إطار المعرفة التي تستثيرها تعبيرات ذلك النص. والنص الخالي من المعنى أو غير المعقول، هو النص الذي يعجز مستقبلوه عن اكتشاف مثل تلك الاستمرارية فيه، ويعود ذلك في العادة إلى وجود خلل كبير في المزوجة بيت تشكيل المفاهيم والعلاقات التي يعبر عنها النص وبين المعرفة القبلية للعالم في أذهان المستقبلين، وسوف تتخذ هذه الاستمرارية للمعاني المقالية أساسا لمفهوم التقارن، ونعني به ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة الصلة بين متبادلي>>⁽²⁸⁾ أي أن الانسجام أو التقارن هو الاتقان و التناسب الذي يتوفر عليه نص ما، وحتى يكون النص منسجما متماسكا لا بد أن تتوفر فيه أدوات ثلاث هي الربط بين القضايا وموضوع الخطاب (الفكرة الأساسية) وكيفية تنظيم المعلومات في النص⁽²⁹⁾.

1-2 الربط بين القضايا في لامية العرب:

يقوم الربط بين القضايا علميايلي:

- علاقة الإضافة:

أول أنواع العلاقات التي تعمل على الربط بين القضايا. تقول عنها (عزة شبل محمد): <<تعبير عنها أدوات العطف: مثل الواو (عاطف إضافي)، لكن (عاطف مقابل)، أو (عاطف فصل) أو ما يعادل هذه الكلمات>>⁽³⁰⁾، وقد وردت هذه الروابط في لامية العرب، في مراقع مختلفة؛ حيث وردت الواو أربعة وثمانين مرة (84) في مواضع مختلفة، لتحافظ على ترابط أفكار النص وقضاياها، ففي قول (الشنفري):

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرجل

تعمل "الواو" على بيان وقت الرحيل، وكذا تربط حاجته لترك قومه بالوقت الذي اختاره، كما استعمل الشنفري لفظة "لكن" في قوله :

ولولا اجتناب الزام لم يلف مشرب يعاش به إلا لدي ومأكل

ولكن نفسا حرة تقيم بي على الزام إلا ريثما أتحوّل

وفي شرح هذا البيت يقول (عطاء الله بن أحمد المصري) <<ولكن نفسا حرة أي أبية، وهو استدراك يفيد أن اجتناب الزام والتباعد عن العار طبيعة له>>⁽³¹⁾، أي أن الأدلة "لكن" تعمل على

ربط البيت بسابقه، وهذا عمل أدوات الربط بالإضافة التي تعمل كلها على ربط قضايا النص بعضها ببعض.

-علاقة السببية:

إضافة إلى "علاقة الإضافة"، يعتمد الربط بين القضايا على العلاقة السببية؛ التي تعرف بأنها >>ترتبط بالتبعية وتشمل سبعة أنماط: السبب، المبرر، الوسيلة، التتابع، الغرض، الشرط، المسلمة <<⁽³²⁾، والسبب يكون خارج مجال الاختيار. يقول (الشنفرى) في اللامية:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فهو يذكر السبب الذي من أجله طلب إعداد العدة للرجيل، وفي إعراب هذا البيت يول (العكبري) >>"فإن" فيها تنبيها على أن ما قبلها علة لما بعدها (...). وقد تدل على ربط الشيء بما قبله والمعنى أن غفلتكم وإهمالكم توجب مفارقتكم <<⁽³³⁾؛ أي أن الشنفرى ربط عجز البيت بصدوره وذلك اعتمادا على ذكر السبب، تعمل باقي العلاقات السببية كلها على إبقاء قضايا النص وأفكاره مترابطة.

2-2 موضوع الخطاب في لامية العرب:

حتى يتسنى للقارئ فهم النص والإحاطة بمعلوماته، عليه معرفة موضوعه والرسالة التي يحملها >>وموضوع الخطاب أو الفكرة الأساسية تعتبر بؤرة الخطاب التي توحيه وتكون الفكرة العامة له أو هو ما يدور حوله الخطاب أو ما يقوله أو ما يقدمه <<⁽³⁴⁾؛ وهذا يعني أن لكل نص موضوعا أو فكرة أساسية يدور حولها ويحاول إيصالها للسامع، وفي لامية العرب أراد (الشنفرى) أن يبين أمرين، كما قال (سيد محمد موسوي): >>عندما تطالع القصيد تجد فيها نوعين من الموضوعات، نوع إيجابي وآخر سلبي؛ فالموضوعات السلبية هي الموضوعات التي ترتبط بالجاهلية والعصبية القبلية والغرة وعدم الاهتمام بالنظافة وغيرها، أما الموضوعات الإيجابية فهي تشتمل: النفس البدوية العزيزة أمام خشونة الصحراء وقسوتها، وإباء الضيم والصبر وإيثار الوحوش على القوم الذين طردوه؛ فيقول عنهم مثلا:

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول و عرفاء جيأل

فقد فضل وحوش الصحاري والبراري على قومه وفي أبيات أخرى تجد أوصافه وأخلاقه الكريمة التي فيها من إباء الضيم والذل؛ فيقول:

أديم مطال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له على من الطول لامرء متطول <<⁽³⁵⁾

فاللامية تتكلم في محتواها عن الحياة الجاهلية ويصف فيها أصحابها حياته وابتعاده عن الذل والمهانة، وإن عاش خارج قومه ودياره بين وحوش البرية.

ومنه فتحديد الأفكار في اللامية ومعرفة المواضيع التي تدرسها أساس فهمها واستيعاب معانيها، ولهذا فموضوع الخطاب أحد أهم العناصر التي يجب مراعاتها عند التعرض لأي نص.

3-2 كيفية تنظيم المعلومات في لامية العرب

البنية الكبرى وقواعد البناء:

وهي كما يعرفها (فان دايك) (Teun A Van Dijk) بقوله: «النص لا يتحدد بالنسبة للقضايا المفردة، بل بالنسبة لتتابعات كاملة؛ حيث يتحدد الموضوع من خلال البنية الكبرى في مقابل أبنية الحمل أو الأبنية الصغر، ونفسر البنية السطحية للخطاب كمجموعة من القضايا التي تنظم بواسطة أنواع من العلاقات الدلالية، يعبر عن بعضها البعض على نحو صريح، وبعضها يستنتج أثناء عملية التفسير من خلال المعرفة العامة أو المعرفة المسبقة»⁽³⁶⁾؛ أي أن النص لا يكون نصا إلا إذا كانت قضاياها مبنية بناء صحيحا ومرتبطة ترتيبا منطقيًا، يجعل الأحداث مقبولة ومفهومة ومرتبطة ارتباطا وثيقا، وفي لامية العرب، البنية الكبرى أو موضوع القصيدة هو النفس البدوية الجاهلية التي تأبى الضيم وتفتخر بالشجاعة، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا مع البنات الثانوية الأخرى كوصف البادية ووصف السلاح وذكر الغزوات والغارات، فقله :

ثلاثة أصحاب: فؤاد مشيع وأبيض إصليت وصفراء عيطل

يقول (عطاء الله بن أحمد المصري): «المشع: المقدام، المجتمع القلب، كأنه في شيعته أي في صحابته، والإصليت؛ الذي يجرد من غمده، والصفراء: قوس طويلة العنق وعيطل: قوية»⁽³⁷⁾ وهذه الصفات التي تتعلق بسلاحه و قوته هي بنية صغرى أو ثانوية ترتبط بالبنية الكبرى؛ فالأسلحة التي عددها لا تكون إلا لفارس شجاع كريم النفس.

البنية التنظيمية للمعلومات في النص:

وفي هذا تقول (عزة شبل محمد) «تنظيم المعلومات المقدمة في النص بطريقة معينة؛ بحيث تتلاءم مع غرض اتصالي معين فهناك الكتابات المقسمة إلى فقرات؛ حيث تعتبر الفقرة نصا صغيرا، وينقسم موضوع النص إلى موضوعات جزئية تعبر عنها الفقرات (...). أما في الشعر فقد ذكر (Dell Hynes) أن أبيات الشعر والمقاطع الشعرية تشكل وحدات الخطاب، فضلا عن المشاهد»⁽³⁸⁾. مما سبق يظهر أن اللامية استوفت المكونات الثلاث للانسجام (الربط بين القضايا، موضوع الخطاب، كيفية تنظيم المعلومات) ومنه فالانسجام قد تحقق في اللامية وكذلك الاتساق؛ فقد اعتمدت اللامية في بنائها على الربط المعجمي والربط النحوي والربط الصوتي، ويمكن القول أن اللامية كل متكامل.

3- الموقفية:

الموقفية كما يعرفها (دي بوغراند) هي: «تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما وسواء أكان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع، ونادرا ما تتحقق تأثيرات مقام سياقي معين دون حدوث التوسط؛ أي مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للنموذج الذي

يقيمها للموقف الاتصالي الحالي، وتتم تغذية النموذج بالقرائن المتيسرة جنباً إلى جنب مع توقعاتنا ومعرفتنا السابقة بشأن كيفية تنظيم العالم الواقعي >>⁽³⁹⁾ أي أن الموقفية مرتبطة بالواقع الخارجي أو العالم الواقعي الذي يحيط بالكاتب أو الشاعر، أن النص عبارة عن مرآة تعكس الحياة التي يعيشها.

والموقف أو المقام عند (هاليداي) (Michael Halliday) و(رقية حسن) يعرف بالسياق، وهما يريان >> إن مصطلحي النص والسياق متلازمان مع بعضهما، فهما مظهران لنفس العملية، فلكل نص "text" يوجد نص مصاحب هو السياق "context" >>⁽⁴⁰⁾؛ فالموقف أو السياق هو مجموعة الظروف التي تحيط بالنص والمؤلف والتي تثر في الأول فتظهر في الثاني (النص).

وللسياق عناصر ثلاثة لا بد من تتبعها والبحث عنها عند دراسة النص هي: حقل الخطاب وأدوار الخطاب ولغة الخطاب

3-1 حقل الخطاب في لامية العرب:

من العناصر التي يجب دراستها لمعرفة السياق أو الموقف الذي كتب فيه النص "حقل الخطاب" >> ويشير إلى طبيعة الحدث الذي ينطلق منه الخطاب، أو طبيعة النشاط الاجتماعي المتصل بالكلام ويتلاقى حوله المتشاركون، وهو ما يوازي مفهوم المناسبة في البلاغة العربية، فمقام التهئة يختلف عن فمقام الشكر، مقام المدح يختلف عن مقام الذم... إلخ >>⁽⁴¹⁾ يقول (الشنفرى) في مطلع اللامية:

أقيموا بني أمي صدور مطيكمفإني إلى قوم سواكم لأميل

ومن كلام (الشنفرى) يظهر لنا أنه استثقل البقاء بين بني قومه وهو عازم على الانتقال إلى غيرهم، لما يلاقيه من إهمال وعدم اهتمام.

3-2 أدوار الخطاب في لامية العرب:

وأدوار الخطاب: >> يشير إلى طبيعة العلاقة بين المتشاركين في الخطاب، وحالتهم النفسية وأدوارهم الاجتماعية، والعلاقات الدائمة والمؤقتة بينهم (...). وهذا العنصر يبحث في العلاقات بين المتشاركين في الخطاب أو الحدث لتواصلي من متكلم وسماع ومخاطب، وتأثير ذلك في الكلام أو النصوص، وكيف أن الكلام أو النص يكشف عن العلاقة بين الأشخاص الذين يشتمل عليهم الخطاب من حيث المركز الاجتماعي والسيطرة والمودة والألفة ودرجة القرب أو البعد والصدقة والمحبة والتعالي... إلخ >>⁽⁴²⁾ وإذا كان هذا التعريف يتحدث عن الخطاب أو الحوار بين متشاركين حاضرين، فهو لا ينفي وجود علاقة بين الكاتب والمتلقي، فالقصيدة مثلاً موجهة إلى مجتمع معين لا بد أن يتأثر بمعانيها ويتفاعل مع محتواها، وفي لامية العرب أبيات خاطب فيها (الشنفرى) قومه وأظهر من خلالها مكانتهم في نفسه، ومكانه منهم، فقوله:

أقيموا بني أمي صدور مطيكمفإني إلى قوم سواكم لأميل

خطاب مباشر موجه لبني قومه يظهر فيه أن لا مقام له بينهم بعد اليوم.

كما يقول مخاطباً قومه:

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول و عرفاء جيأل

فالضمير "كم" يعود على قومه الذين فضل الهجرة على العيش بينهم، وحوش البادية من ذئب و ضبع، يغيرونهم في الجنس ويخطئونهم في صفة الضرر الكامل.

3-3 لغة الخطاب في لامية العرب :

تعني لغة الخطاب «اللغة التعبيرية المستخدمة في الخطاب، هل هي رسمية أو غير رسمية (...). قصصية أو غير قصصية»⁽⁴³⁾ فلغة الخطاب أو اللغة المستعملة في النص هي مجموعة التراكيب والألفاظ التي تتلاحم معاً لإنشاء النص الواجب على الباحث دراستها من أجل فهم النص ومعرفة مدى تماسك أجزائه، وفي لامية العرب اعتمد (الشنفرى) كغيره من الصعاليك على لغة البادية الجاهلية الصعبة التي تحتاج إلى جهد من أجل معرفة معانيها؛ فقولته :

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

يحتوي كلمتان لا بد من الرجوع إلى الشروح وأقوال العرب لفهم معناه فـ "حمت" تعني قدرت ودبرت و طيات جمع "طية" وهي النية والعزم⁽⁴⁴⁾ ، كما اعتمد الكثير من الكلمات والأسماء الصعبة الفهم مثل: فؤاد مشيع: قلب قوي شجاع، أبيض إصليت: سيف صارم مسلول، صفراء عيطل: قوس طويلة العنق كما اعتمد (الشنفرى) في القصيدة على لغة الوصف التي تكثر فيها النعوت، فهو يصف في القصيدة حاله وعفته وأهله وبيئته ثم يصف كرمه وعفة نفسه؛ فيقول :

وإن الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

فقد ذكر فضيلة أخرى له وهي القناعة وعدم الجشع. فالشنفرى اعتمد في اللامية لغة صعبة الفهم ثقيلة في النطق، ولكنها عبرت عما يريد إيصاله، كما اعتمد الوصف الذي صور لنا من خلاله حاله وبيئته وهذا ما جعل نص القصيدة لأكثر تماسكا، فكل أبياتها متماثلة اللغة، لا يختلف الواحد منها عن غيره؛ ومنه فالموقف أو المقام يساهم في عملية بناء النص والحفاظ على تماسكه وتربط أجزائه؛ فإذا نقلت لنا مفردات النص صورة واضحة عن الموقف أو المقام فهذا يعني تحقق الفائدة المرجوة وبلوغ النص ما أراد صاحبه أن يبلغ.

4- التناص:

يعرف (دي بوغراند) التناص بأنه «يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة»⁽⁴⁵⁾ أي أن التناص هو مدى مشاركة نص ما نصوصاً أخرى سواء في إنتاجها أو استقبالها وفهمها، وبما أن التناص عملية مشاركة بين النصوص ونقطة تقاطع بينها فلا بد أن يكون للتناص مصادر، وقد قسمتها (عزة شبل محمد) إلى ثلاث مصادر: المصادر الضرورية والمصادر الداخلية والمصادر الطوعية⁽⁴⁶⁾ ،

1-4 المصادر الضرورية للتناص في لامية العرب :

من بين مصادر التناص، المصادر الضرورية التي «يكون التأثر فيها طبيعياً تلقائياً مفروضاً، ومختاراً في آن واحد»⁽⁴⁷⁾؛ وهذا يعني أن المصادر الضرورية للتناص لا يمكن المؤلف أن يتحكم

فيها لأن الأمر مرتبط بما يحفظه في ذاكرته من أقوال ونصوص، فتظهر هذه المعطيات المخزنة في كتاباته وفي لامية العرب تظهر المصادر الضرورية في بعض الألفاظ أو العبارات التي كانت ترد على ألسنة الشعراء في تلك الحقبة، فقول(الشنفرى):

ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع وأبيض إصليت و صفراء عيطل

الذي يصف فيه ما ألهاه و أنساه أهله من سلاح و قوة و شجاعة؛ فالفؤاد المشيع والأبيض الإصليت والصفراء العيطل هي <<قلب قوي شجاع وسيف صارم مسلول وقوس طويلة العنق >>⁽⁴⁸⁾ وهو قول "تأبط شرا":

يفرج عنه غمة الروع عزمه و صفراء مرنان و أبيض باتر

فهو يصف قوسه بأنها صفراء⁽⁴⁹⁾ ، كما جاء في شعر الصعاليك :

_ <<وسمحة من قسى زارة صف.....راء هتوف عدادها غرد

_ و صفراء البراية عود نبعكوقف العاج من ورك حدال

_ وفي الشمال سمحة من النشم صفراء من أقواس شيبان القدم >>⁽⁵⁰⁾

التناص في هذه الأبيات ضروري، لأن القوس كان لها النصيب الأكبر في شعر الصعاليك، لكثرة استعمالها كما أن الشعراء <<اهتموا بلونها، وهي عند الهذليين في ضوء ما وصل إلينا من شعرهم صفراء دائما>>⁽⁵¹⁾

2-4 المصادر الداخلية في لامية العرب:

بالإضافة إلى مصادر التناص الضرورية هناك مصادر داخلية <<تشير إلى التناص الواقع في نتاج الشاعر نفسه، كأن تشغل الشاعر بعض القضايا في غير قصيدة أوديوان، حتى أنها تخترق نتاجه كله اختراقاً بيناً>>⁽⁵²⁾ أي أن الشاعر يكون صورة لتفكيره وموضوعاته التي يتطرق إليها في قصائده، فتدور قصائده حول موضوع معين أو ظاهرة ما تتشاركها كلها، ويتحدث(الشنفرى) عن السيف في عدة قصائد؛ فيقول:

حسام كلون الملح صاف حديده جزار كأقطاع الغدير المنعت

فهو يتباهى بسيفه وحدته؛ فالحسام هو السيف و الجزار: السيف القاطع⁽⁵³⁾ .

ويقول في قصيدة أخرى:

وأبيض من ماء الحديد مهند مجذ لأطراف السواعد مقطف

وفي هذا البيت أيضا يفاخر بسيفه وحدته "ف" مجذ: قاطع⁽⁵⁴⁾

3-4 المصادر الطوعية (الاختيارية) في لامية العرب:

المصدر الثالث من مصادر التناص هو المصادر الطوعية <<وتشير إلى ما يطلبه الشاعر عمدا من نصوص مزامنة أو سابقة عليه في ثقافته أو خارجها>>⁽⁵⁵⁾؛ وهذا المصدر يعني أخذ الشاعر من أشعار غيره عمدا وتضمين قصيدته من عمل أعجبه سواء أ كان في عصره أو زمن سبقه، والشنفرى شاعر اختلفت نسبة الأمية إليه، كما اختلفت الأقوال في أصله وزمانه ولهذا يصعب تحديد

التناص الطوعي فيها، كما أن الشعراء الصعاليك الذين عاصروه لا تظهر علامات التناص الطوعي بين قصائدهم واللامية.

5- القصد:

من المعايير النصية التي يدرسها عالم النص من أجل الوقوف على مدى نصية نص ما "القصد" الذي يتعلق بمؤلف النص وهو كما يعرفه (دي بوغراندي) >>يتضمن موقف منشئ النص كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام ومثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية بعينها >>⁽⁵⁶⁾ بمعنى أن منتج النص أراد من خلال نصه أن يصل إلى نتيجة أو غاية معينة؛ ولذلك فهو يسعى إلى جعله متسقا منسجما، وحتى إذا لم يكن النص كامل الانسجام والاتساق إلا أنه يظل وسيلة للوصول إلى غاية ما، وقد ذكرت (عزة شبل محمد) في كتابها "علم لغة النص" نوعين من القصد، قصد مباشر وقصد غير مباشر⁽⁵⁷⁾.

5-1 القصد المباشر في لامية العرب:

يقول علماء اللغة >>أصبحت الأفعال الإنجازية و الاستلزامية موضع اهتمام في دراسات الخطاب؛ حيث يلجأ بعض الناس أحيانا إلى الإشارة إلى مقاصدهم الإنجازية باستخدام عبارات مثل "أنا أعدك" و"أنا أؤكد" (...). مثل هذه الأفعال يطلق عليها الأفعال الأدائية، وتستخدم تلك الأفعال الأدائية أحيانا في سياقات يكون فيها من إلهام التعبير عن مقاصد المرء من غير غموض مطلقا >>⁽⁵⁸⁾ يظهر من هذا التعريف أن القصد المباشر هو ظهور غاية المنتج أو صاحب النص مباشرة من خلال ملفوظه أو نصه دون الحاجة إلى شرح أو تفسير، وفي لامية العرب للشنفرى - التي لم يحدد الدارسون لها موقفا أو مناسبة كتبت فيها- يظهر القصد المباشر في قوله:

أقيموا بني أمي صدور مطيكمفإني إلى قوم سواكم لأميل

فهو يخبر قومه أنه سيميل إلى غيرهم وكلامه مباشر لا يحتاج إلى تأويل، والقصد من البيت إبلاغ القوم بما عزم عليه وإخبارهم بما استقرت عليه نفسه.

5-2 القصد الغير مباشر في لامية العرب:

إذا كان النص يعتمد لغة سهلة مباشرة تجعل المتلقي يفهم المقصود منه مباشرة؛ فهذا لا يعني أنه لا يخلو من بعض الغموض أو اللبس الذي يحتاج في فهمه إلى معرفة أكثر باللغة؛ وهذا ما يعرف بالقصد غير المباشر، المقاصد غير المباشرة كما تقول (عزة شبل محمد) هي >>تلك المقاصد الضمنية التي لا يصرح بها النص ولا يكشف عنها الكاتب صراحة ولكنها متضمنة في معنى النص، مثل القصد إلى الغاية التعليمية والفكاهة ومعالجة قضايا المجتمع >>⁽⁵⁹⁾ ومنه فالقصد غير المباشر هو الغايات التي كتب من أجلها النص ولكن اللغة لا تعبر عنها مباشرة وإنما تفهم من المواقف و السياقات التي وردت فيها.

وفي لامية العرب مقاصد غير مباشرة أراد (الشنفرى) أن يبلغ بها كل من اطلع على القصيدة، كرسمه صورة بديعة للصحراء العربية، ونقل حال البدو إلى كل قارئ، كما تشتمل القصيدة على درس رائع في مكارم الأخلاق والشجاعة ورفض الذل ورد الضيم، ودليل هذا قول (عطاء الله بن أحمد المصري الأزهرى): «ففي تصوير رائع للحياة العربية في العصر الجاهلي وهي نشيد الصحراء والحرية والنفس العربية الحرة الأبية التي لا تقبل الظلم، بالإضافة إلى جودة اللغة وقوتها؛ فإن لامية العرب امتلأت بالمعاني السامية والحكم الكثيرة، الأمر الذي دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول "علموا أولادكم قصيدة الشنفرى فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق"»⁽⁶⁰⁾ ومنه فلامية (الشنفرى) تحمل من المعاني السامية والأخلاق العالية ما جعلها محط دراسة واهتمام، و(الشنفرى) ما نظمها إلا لتكون مرآة عاكسة للنفس الأبية الكريمة، ومن الأبيات التي تتضمن صفات النفس الأبية قوله :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

أي أن في الأرض مهرب لمن خشي البغض و الكراهية؛ وهذا ما قصد إليه (الشنفرى): أن يعلم الناس كيفية الحفاظ على الكرامة والكبرياء ولكن بطريقة غير مباشرة.

6- القبول :

يعرف القبول أو المقبولية بأنه «يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام»⁽⁶¹⁾ ، أي أنه لا يمكن الحكم على ملفوظ ما أنه نص إلا إذا أخذنا موقف مستقبله بعين الاعتبار» والمقبولية بالمعنى الواسع رغبة نشطة للمشاركة في الخطاب؛ أي الرغبة للمتقبلين في المعرفة و صياغة مفاهيم مشتركة؛ وبذلك يمثل المتلقي جانبا مهما من جوانب عملية الإنتاج، التي تتكون من (المنتج، النص، المتلقي) فلا شك أن النص يكتسب حياته من خلال المتلقي إذ يفك شيفرته ويستخرج ما فيه ويتوقف ذلك على ثقافته وأفقته ومعرفته بعالم النص وسياقه»⁽⁶²⁾ .

فالمقبولية هي مدى تقبل المتلقي للنص وإفادته منه ومعرفته بمحتواه وتكوينه صورة عنه في ذهنه، كما احتل المتلقي مكانة عالية في عالم النص فهو «الذي يحكم على هذا النص ويحكم على تماسكه وهذا يعني أن القارئ هو شريك للمؤلف في تشكيل المعنى وهو شريك مشروع لأن النص لم يكتب إلا من أجله»⁽⁶³⁾؛ فالنص لا يكتمل ولا يبلغ النصية إلا إذا لقي القبول عند المتلقي واستطاع هذا الأخير أن يكون صورة عن النص ويستخرج منه المعاني التي يقصدها المنتج .

إذا أردنا البحث عن القبول الذي حظيت به اللامية عند شعراء الجاهلية فلن نتمكن من ذلك لأن لامية العرب مختلف في نسبتها إلى (الشنفرى) أو خلف الأحمر، ولم نجد لها ذكرا في كتاب "الشعراء الصعاليك" وكتاب "الأغاني" الكتب التي درست وجمعت الأشعار الجاهلية، ولكن اللامية حظيت بالقبول الكبير لدى الدارسين والباحثين والشعراء بعد الإسلام؛ فقد قال فيها المستشرق (جورج يعقوب) «إن مواطن هذه القصيدة هي تلك المرباع في جنوب مكة بين الجبال التي تقع في شمال اليمن حيث مضارب الأزدي قبيلة شاعرنا، إنني لا أفهم كيف يستطيع المرء إن ينكر هذه

القصيدة التي تتنفس بعبير الصحراء وترسم جاهلية العرب بكل نقاء، وتصور حياة رجل حمل أحقاداً أورثته إياها مظالم الناس وعقوق الإخوة وجور العدالة»⁽⁶⁴⁾ ، ويرى أن اللامية أصدق قطعة شعرية من أغاني الصحراء؛ أي أن قصيدة (الشنفري) أو لامية العرب قد لقيت من القبول والاهتمام ما لم تلقه غيرها من قصائد الجاهلية لما فيها من صدق وصحة وقوة تراكيب، كما انتشرت القصيدة "لامية العرب" انتشاراً واسعاً ولقيت اهتماماً كبيراً من النقاد والشارحين والدارسين قديماً وحديثاً كما اعتنى بها المستشرقون يدرسونها ويترجمونها إلى لغات مختلفة كالفرنسية والألمانية والبولندية والإنجليزية >> من أهم شروحها :

- شرح لامية العرب لابن العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 298 هـ)
 - شرح أبي بكر ابن دريد (ت 321 هـ)
 - شرح يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت 502 هـ)
 - شرح محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ) >>⁽⁶⁵⁾.
 - ومن المستشرقين الذين ترجموها إلى لغاتهم:
 - الفرنسي (سلفستر دي ساسي) شرحها في كتابه "الأنيس المفيد للطالب المستفيد" و"جامع الشذور من منظوم منثور" المطبوع في باريس سنة (1826م).
 - الألماني (روس) (Reuss)
 - الإنجليزي (ردهوس) (Redhouse)
 - الإنجليزي (هيوغس) (G-hughes) وغيرهم⁽⁶⁶⁾.
- 7- الإعلامية:

بالإضافة إلى معياري القصد والمقبولية، على الباحث دراسة معيار الإعلامية حتى يتمكن من الحكم على عمل ما بأنه نص، والإعلامية مصطلح وضع >> للدلالة على ما يعده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع >>⁽⁶⁷⁾ ؛ فالإعلامية مرتبطة بالنص والمتلقي ومدى توقع المتلقي لما هو موجود في النص من وقائع وهذا ما ذهبت إليه (عزة شبل محمد) في قولها: >> الإعلامية هي إحدى المعايير السبعة للنصية كما حددها (دي بوغراند) و(ديسلر) وموضوعها مدى التوقع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع أو المعلوم في مقابل المجهول، فكلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف زادت الكفاءة الإعلامية وهي بذلك نسبية تختلف باختلاف المتلقي وعمليات استقباله للنص >>⁽⁶⁸⁾ ؛ أي أن الإعلامية تكون كبيرة إذا كان الخروج عن التوقع أكثر في النص.

في لامية العرب - التي تعتبر من شعر الصعاليك - أول خروج عن التوقع هو عدد الأبيات (68 بيتاً) وفي هذا قال إيميل بديع يعقوب >> إن أول ما يلفت نظرنا، أن هذه اللامية طويلة طولاً ليس مألوفاً في شعر الصعاليك (...). فهذه اللامية تبلغ ثمانية وستين بيتاً، في حين لا تزيد أطول قصيدة في ديوان الصعاليك عن خمسة وثلاثين بيتاً وهي تائية الشنفري المفضلية >>⁽⁶⁹⁾ ؛ فالمتلقي

الجاهلي لم يكن يتوقع أن يجد قصيدة بهذا الطول لأن الأشعار الجاهلية كانت عبارة عن مقطوعات صغيرة.

وتقع الإعلامية - في النص - في التراكيب والأصوات والكلمات والنحو وغيرهم، فكلما خرج المنتج عن المؤلف في عنصر من هذه العناصر زادت الإعلامية في النص⁽⁷⁰⁾. وفي لامية العرب ظهور كبير لألفاظ لم يتعود المتلقي على سماعها في الأشعار الأخرى، كما فيها من التشبيهات ما لا تحتويه القصائد الأخرى، فذكره الحيوانات -مثلا- بأسماء غريبة عن المتلقي في قوله :

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل
>>فالسيد هو الذئب والأرقط هو النمر والعرفاء أنثى الضبع<<⁽⁷¹⁾ ، وهي أسماء قلما تستعمل وهي غير متوقعة، وفي قوله:

ولا جبأ أكهى مربّ بعمرسه يطالعها في شأنه كيف يفعل
>>جبأ: الجبان، أكهى: كدر الأخلاق و البليد، مربّ: مقيم، ومعني البيت أني لا أجبن ولا أسئى الأخلاق ولا أقيم مع النساء و أشاورهن في أموري التي تعرض من حيث الإقدام عليها أو الإحجام عنها<<⁽⁷²⁾ ؛ ففي البيت استعمال لمفردات لا يتوقعها إلا من كان على علم واسع بلغة الجاهلية، وقوله:

ولا خرق هيق كأن فؤاده يظل به المكاء يعلو ويسفل
>>خرق: الدهش من الخوف والحياء، هيق: الظليم، المكاء: طائر لا يستقر على الأرض<<⁽⁷³⁾ وهذا تشبيه بديع فقد شبه القلب المضطرب من الخوف والقلق بالطائر الذي يعلو ويدنو من الأرض دون أن يستقر عليها، واللامية تكاد أن تكون كل ألفاظها غريبة خارجة عن المؤلف وكذلك التشبيهات والاستعارات فيها.

ويشبه الشنفرى نفسه في طلب القوت بالذئب في قوله:

وأعدو على القوت الزهيد كما عدا أزل تهاده التنائف أطحل
>>أزل: الذئب الجائع، تهاده: تترامى به، التنائف: المفاوز والقفار<<⁽⁷⁴⁾

وفي هذا تشبيه لنفسه بالذئب الجائع وهي صورة بديعة رسمها عن عفة نفسه، وإذا لم تكن اللامية خارجة عن توقع المتلقي لما لقيت من الاهتمام ما لقيت؛ فقد شرحت شروحا كثيرة على خلاف القصائد الجاهلية الأخرى، لما فيها من خروج عن عادة الشعراء في استعمال الألفاظ ولتراكيب؛ فقد تناولها أكثر من عالم بالشرح وهذا لما فيها من صعوبة فهم وغرابة ألفاظ. يتجلى الخروج عن التوقع في لامية العرب في عدة مظاهر، أهمها:

- طول اللامية مقارنة بالشعر الجاهلي وشعر الصعاليك.
- غرابة الألفاظ والاستعمال الكثير للمفردات الصعبة علغرار القصائد الأخرى.
- عدم التصريح في البيت الأول الذي كان سائدا في الشعر الجاهلي.

- عدم موافقة اللامية لموقف محدد؛ فهي لا ترتبط بمناسبة ولا تشير إلى مكان محدد أو زمان، أو حدث بذاته على خلاف أشعاره الأخرى، فتأنيته قيلت في غزو بني سلامان، وبأنيته في غارة على عوص، وليس له شعر قيل في غير مناسبة .
ومنه فلامية (الشنفرى) كسرت التوقع وخرجت عن المألوف؛ وهذا يعني أنها استوفت معيار الإعلامية وبنسبة عالية.

خاتمة:

وفي نهاية هذه الرحلة البحثية عن معايير النصية في لامية العرب للشنفرى، نكون قد توصلنا إلى عدد من النتائج، أهمها:

- النص ملفوظ يسعى منتجه إلى إيصال ما في ذهنه إلى أذهان المتلقين، معتمدا في ذلك على اللغة، التي يجب أن تكون منظمة منتقاة يحاول جعلها مترابطة قوية حتى يتسنى للمتلقى تكوين صورة عما يريد إيصاله.

- لا يمكن الحكم على ملفوظ بأنه نص إلا بعد الوقوف على الشروط أو المعايير السبعة وتتبعها وعرفة مدى تطبيقها في هذا الملفوظ، كما لا يمكن الحكم على النصية الملفوظ من خلال البعض من المعايير دون الآخر.

- لا يمكن لباحث ما أن يفصل بين النص والمواقف المصاحبة له، ولا يمكن عزل النص عن البيئة التي أنتج فيها، لأن فهم النص لا يتحقق ما لم يقترن النص بالمواقف التي صاحبته.

- الإحالة إحدى أهم العناصر التي يعتمد عليها النص حتى تترايط أجزاءه، والإحالة إما أن تكون داخل النص فيحيل عنصر أو ضمير إلى عنصر آخر حاضر في النص، قبل أو بعد اللفظة المهمة، وإما أن تكون إحالة إلى العالم الخارج عن النص كالمنتج أو البيئة التي يعيش فيها.

- النص لا يولد مباشرة كلا متكاملا وإنما هو مجموعة من النصوص التي تراكمت في ذهن المنتج من خلال التجارب السابقة و المعارف المخزنة؛ التي يجمعها المؤلف قصدا أو عن غير قصد ويقدمها للمتلقى في شكل نص له غايته وهدفه .

- المتلقى شريك المنتج لأن النص لم ينتج إلا من أجله؛ ولذلك على كل مؤلف أن يراعي المستوى الثقافي والمعرفي للمتلقى.

- لامية العرب وإن كانت من الشعر الجاهلي نص كامل استوفى جميع المعايير، فهو قصيدة قصد من خلالها (الشنفرى) تصوير البيئة الصحراوية ونقل الصفات العربية والأخلاق السامية إلى كل متلق، وقد اعتمد في ذلك لغة مترابطة متسقة لا يخرج بعضها عن بعض.

الإحالات:

- (1) صبيحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دارقباة للطباعة ، القاهرة، ط1، 2000، ص 35.
- (2) محمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى علم النص، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، دط، دس، ص 81.
- (3) روبرت دي بوغراند: النص والإجراء والخطاب، ص103.
- (4) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص102.
- (5) المرجع نفسه، ص109.
- (6) المرجع نفسه، ص10.
- (7) عمرو بن مالك الشنفرى: الديوان، تح: إيميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي و بيروت، ط 2، 1996، ص 65.
- (8) عطاء الله بن احمد المصري الأزهرى: نهاية الارب في شرح لامية العرب، جامعة الكويت، سنة 1992، ص 32-35.
- (9) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 109 .
- (10) عبد الحلیم حنفي: شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى، ص 10.
- (11) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص110.
- (12) محمد حطايي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1991، ص 23 .
- (13) أيمن فؤاد سيد وآخرون: دراسات عربية إسلامية، ص 274 .
- (14) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 114 .
- (15) عزة شبل محمد . علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 115 .
- (16) أيمن فؤاد سيد وآخرون: دراسات عربية إسلامية، ص 261 .
- (17) روبرت دي بوغراند: النص والإجراء والخطاب، ص 320 .
- (18) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص119.
- (19) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 122 .
- (20) عزة شبل محمد . علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 122 .
- (21) المرجع نفسه، ص 122 .
- (22) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 125 .
- (23) بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة فنية وتاريخية، مؤسسة المختار للتوزيع، القاهرة، ط 2، 1998، ص 296 .
- (24) المرجع نفسه، ص 277 .
- (25) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 126 .
- (26) محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية و بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 43 .
- (27) الحسن بن عثمان الأربلي: كتاب القوافي، تح: عبد المحسن فراج القحطاني، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ط، 1997، ص78.
- (28) روبرت دي بوغراند ودريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ص 120 .
- (29) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص188.
- (30) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 189 .
- (31) المرجع نفسه، ص59 .
- (32) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 188 .
- (33) أيمن فؤاد سيد: دراسات عربية وإسلامية، ص 253 .
- (34) المرجع نفسه، ص 191 .
- (35) المرجع نفسه، ص191 .
- (36) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 195 .
- (37) عطاء الله بن احمد المصري الأزهرى: نهاية الارب في شرح لامية العرب، ص 19 .
- (38) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص 198 .
- (39) روبرت دي بوغراند ودريسلرولفغانغ: مدخل إلى علم لغة النص، ص 210 .

- (40) عزة شبل محمد : علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 8.
- (41) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 9.
- (42) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 9.
- (43) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 10.
- (44) المرجع نفسه، ص 11.
- (45) روبرت دي بوغراند: النص و الإجراء و الخطاب، ص 104.
- (46) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 76.
- (47) المرجع نفسه، ص 76.
- (48) عبد الحليم حنفي: شرح و دراسة لامية العرب للشنفرى ، ص 45.
- (49) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، دط، 1959، ص 199.
- (50) المرجع نفسه، ص 199.
- (51) يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 199.
- (52) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 76.
- (53) عمرو بن مالك الشنفرى: الديوان ، ص 34.
- (54) المرجع نفسه، ص 53.
- (55) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 86.
- (56) روبرت دي بوغراند: النص و لإجراء و الخطاب، ص 103.
- (57) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 29.
- (58) المرجع نفسه، ص 29.
- (59) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 41.
- (60) عطاء الله بن أحمد المصري الأزهرى: ناية الأرب في شرح لامية العرب، ص 14.
- (61) روبرت دي بوغراند: النص و الإجراء و الخطاب، ص 104.
- (62) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 34.
- (63) المرجع نفسه، ص 35.
- (64) عمرو بن مالك الشنفرى: الديوان، ص 19.
- (65) عمرو بن مالك الشنفرى: الديوان، ص 19.
- (66) عمرو بن مالك: الديوان، ص 21.
- (67) روبرت دي بوغراند و دريسلر: مدخل إلى علم لغة النص، ص 184.
- (68) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 68.
- (69) عمرو بن مالك الشنفرى: الديوان، ص 16.
- (70) عزة شبل محمد: علم لغة النص النظرية و التطبيق، ص 69.
- (71) عطاء الله بن أحمد المصري الأزهرى: نهاية الأرب في شرح لامية العرب، ص 43.
- (72) عطاء الله بن أحمد المصري الأزهرى: نهاية الأرب في شرح لامية العرب، ص 52.
- (73) المرجع نفسه، ص 52.
- (74) المرجع نفسه، ص 61.

المراجع:

- أيمن فؤاد سيد و آخرون: دراسات عربية إسلامية، (دط)، القاهرة، مكتبة الآداب.
- بسبوني عبد الفتاح فيود: (1998) علم البديع دراسة فنية و تاريخية. (ط1). القاهرة. مؤسسة المختار للتوزيع، القاهرة.
- الحسن بن عثمان الأربلي. (1997). كتاب القوافي. (ط1).، تح: عبد المحسن فراج القحطاني، الشركة العربية للنشر و التوزيع.
- روبرت دي بوغراند و دريسلر و لفيغانغ. (1992). مدخل إلى علم لغة النص. (دط). مركز نابلس للكمبيوتر.
- روبرت دي بوغراند. (1998). النص و لإجراء و الخطاب. تح: تمام حسان. (ط1). القاهرة. علاء للكتب.

- صبيحي إبراهيم الفقي. (2000). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق. (ط1). القاهرة. دار قباء للطباعة.
- عبد الحلیم حنفي. (2008). شرح ودراسة لامية العرب للشنفرى. (ط1). مصر. مكتبة القاهرة.
- عزة شبل محمد. (2009). علم لغة النص النظرية والتطبيق. (ط2). القاهرة. مكتبة الآداب.
- عطاء الله بن احمد المصري الأزهرى. (1992). نهاية الارب في شرح لامية العرب. (دط). الكويت. جامعة الكويت.
- عمرو بن مالك الشنفرى. (1996). الديوان. تح: ايمل بديع يعقوب. (ط2) بيروت. دار الكتاب العربي .
- محمد الأخضر الصبيعي. (2009). مدخل إلى علم النص. (دط). الجزائر. الدار العربية للعلوم ناشرون.
- محمد بن حسن بن عثمان. (2004). المرشد الوافي في العروض والقوافي. (ط1). بيروت. دار الكتب العلمية.
- محمد حطابي. (1991). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب. (ط1). بيروت. المركز الثقافي العربي.
- يوسف خليف. (1959). الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. (دط). دار المعارف.